

غزوة مؤتة

للاستاذ عمر عبيد حسنه

لابد لنا قبل الكلام عن غزوة مؤتة - التي تشكل مع غيرها من مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم جانباً هاماً من جوانب السيرة النبوية بل لعله أهمها - ان نقدم لذلك من ان السيرة بشكل عام تمثل في منهج الفرد المسلم الصورة العملية للمبادئ الاسلامية والترجمة الامينة الصادقة لتلك المبادئ حيث انها ليست مجرد أفكار عاشت في اذهان اصحابها ترضي العقل ولا تتجاوزها الى عالم السلوك . فهذا اللون من الفكر المريح الذي لا يكلف صاحبه ثمناً لبعده عن التجربة والمعاناة . خدير بأوقات اللهو والراحة من حياة الانسان .

وكانت رسال الرسول صلى الله عليه وسلم ورسائله الى مختلف ملوك ورؤساء العالم وكانت سراياه التي انقبائل العربية المجاورة وبذلك تجاوزت الدعوة الاسلامية الحدود الاقليمية الى مجالها الطبيعي .

ومن هؤلاء الرسل الحارث بن عمير الأزدي الذي ارسل الى شرحبيل ابن عمرو الفسائي حاكم بصرى من قبل الروم وكان ان قتل حاكم بصرى الرسول اليه فلا بد من ان يأتي دور القوة والجهاد لحماية الدعوة وتأمين حرية انتشارها .

طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه الخروج الى الشام وقال لهم :

أمير الناس زيد بن حارثة فان قتل فجعفر بن أبي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحه فان قتل فليترض المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم .

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حينما قدم النموذج التطبيقي والتجربة الفنية من حياته وحياته اصحابه الكرام فما ذلك الا ليضع المسلم امام صورة واضحة بكل ابعادها للحياة الاسلامية ، ولا ينكر ما للنموذج من اثر في تربية الافراد تربية عملية . ونحن احوج ما نكون في هذه الايام لمعرفة رصيدنا من التجربة في مختلف المجالات خاصة وان رصيدنا من التجربة كان مضمون النتائج ، حيث رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم ومراقبة السماء في شهر ذي القعدة سنة ست للهجرة كان صلح الحديبية المشهور الذي سماه الله فتحاً مبيناً ومما اتفق عليه للمسلمون وعدوهم ان يكون امد الصلح عشر سنوات . هنا وبعد ان لعن المسلمون شر عدوهم بدأت الدعوة مرحلة جديدة مرحلة التبليغ والبيان

فانطلق المسلمون لا يزيد عددهم على ثلاثة آلاف مقاتل انطلقوا الى مشارف الشام لحماية العقيدة بعيدا عن المدينة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا يعيشون تصوراتهم كاملة ويصنعون من مبادئهم حياة غنية بالتجربة تضيء للاجيال المسلمة الطريق .

كان ذلك في جمادى الاولى سنة ثمان للهجرة ، ودعهم الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجهم وما ان جاوزوا المدينة حتى علم العدو بمسيرهم ، فجمع لهم هرقل اكثر من مائة الف مقاتل من الروم كما جمع شرحبيل بن عمرو مائة الف مقاتل من مشركي العرب ويروى ان كل ما اجتمع من الروم والعرب بلغ مائة الف مقاتل فقط .

مضى المسلمون الى غايتهم حتى نزلوا بمدينة - معان - فبلغهم خبر عدوهم وجمعه فأقاموا ليلتين يفكرون في الامر ويتشاورون . واقترح بعضهم ان يكتب للرسول صلى الله عليه وسلم بعدد العدو وامكانياته لعل له رأيا او يأمر بالضي . وهنا وقف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحه ليقول للناس : يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به . فانطلقوا فانما

هي احدى الحسينيين اما ظهور واما شهادة . فقال الناس قد صدق والله بن رواحه وتابعوا مسيرهم نحو العدو .

ان عبد الله بن رواحه في موقفه هذا كان واضح الاهداف متمثلا لمبدئه يصدر عنه في احكامه وسلوكه .

لقد وضع المسلمين امام عقيدتهم فكان الالتزام الكامل والوضوح في الرؤيا ، الالتزام على ارض المعركة وما فيها من احتمالات ومفاجآت الا ان اهدافهم كانت اكبر من كل احتمالات المعركة ومفاجأتها انهم لا يقاتلون بعدد ولا قوة ولكن يقاتلون بهذا الدين . على ضوء هذا المقياس يكون الاقدام ويكون التولي عن المعركة في عقيدة الفرد المسلم .

التقى المسلمون بعدوهم فانحازوا الى قرية يقال لها - مؤته (١) - واقتتلوا فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد فأخذها جعفر بن ابي طالب فقاتل حتى استشهد وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقتربها
طيبة وباردا شرابها

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحه بعد ان رأى ما انتهى اليه صاحبه وعاش فترة من الصراع بين نفسه مشدودة الى الارض وحب البقاء وبين عقيدته المتصلة بالسماء وراحة الخاود وانشد مخاطبا نفسه :

(١) قرية من قرى البلقاء تعرف الان باسم الكرك في الاردن .

مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة

وقال أيضا :

يا نفس إلا تقتلي تموتي .
هذا حمام الموت قد صليت

فتقدم وقاتل حتى قتل وكانت
راحة الخلود . بعد ذلك ارتضى
المسلمون خالد ابن الوليد لحمل
الراية طبقا لوصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقاتل خالد المشركين
حتى انهزموا وانجاز بالمسلمين الى
المدينة هذا ولم تكن المعركة التي
دارت رحاها على مشارف الشام
بعيدة عن المسلمين في المدينة حيث
صلة السماء بالارض فالمسلمون من
المدينة يشرفون على ارض المعركة
ويعرفون اخبارها بواسطة رسول
الله صلى الله عليه وسلم استقبل
المسلمون الجيش الذي قاتل هذا
العدد الهائل من الاعداء وكان عدده
ثلاثة آلاف مقاتل كما قدمنا وكأنه
تولى عن الجهاد في سبيل
الله فلماذا لم يتابع فلول العدو
المنهزمة .

ويأتي الرسول صلى الله عليه
وسلم ليقدر بأن الجيش قام بمهمته
على اتم وجه .

بعد ذلك اريد ان اقول : ان هناك
اوليات اساسية لأبد من بيانها في هذا
الموضوع .

ان الذين ينظرون الى السيرة

النبوية بما فيها غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم نظرة تاريخية
بحنة غريبة عن المنهج الذي انبثقت
عنه السيرة ثم يخضعون بدراستهم
لهذه النظرة ومقاييسها انما يظلمون
الحقيقة ويجافون المنهج العلمي اذ
أنهم يضعون مقدمات خاطئة تقودهم
الى نتائج خاطئة وبعيده عن طبيعة
السيرة وموضوعها . وهم انما يظلمون
بذلك امرا اساسيا في دراستهم هو
جانب النبوة كما يفهما المسلم .

فاحداث السيرة النبوية وان
احتلت مكانا بارزا في تاريخنا من
الناحية الشكلية الا انها ليست حلقة
من حلقاته وانما هي منهج حياة كامل
بما في الحياة من جوانب متعددة
تفسر على ضوءها ومقاييسها الحوادث
التاريخية الاخرى . فاية حادثة
تاريخية لا يمكن تقييمها الا على أساس
من المنهج الذي انبثقت منه بشكل
عام .

فغزوة مؤتة التي كان عدد
المسلمين فيها ثلاثة آلاف مقاتل
وعدد عدوهم مائة الف مقاتل أو يزيد
واقدام زيد بن حارثة وجعفر بن أبي
طالب وعبد الله بن رواحه على
الاستشهاد بهذا الشكل وكذلك
موقف بن رواحه قبل المعركة وجواب
المسلمين له امور لا يمكن دراستها الا
على ضوء الاهداف التي حملت المسلمين
على خوضها، لذلك نراها منسجمة كل
الانسجام مع تصور الفرد المسلم
ونظرة العامة لأنه يؤمن كل الايمان
- البقية على الصفحة - ١٠١ -

تتمة المنشور على الصفحة - ٩٩ -

فلا بد لنا من الالتزام بنفس الاهداف
والمقاييس التي اوضحتها السيرة
اما ان ينظر كل فرد الى الحوادث
ويفسرها كما يريد هو من
خلال نفسه وعواطفه البعثرة ويقدم
ذلك للاخرين على انه دراسة
للمشكلة وتحليل لها فهذا انما يعيش
وقد احاط به الوهم يعيش بخداع
نفسه ، ويخدع الاخرين ولم يقدم
علاجاً للمشكلة .

بان النصر من عند الله كما يؤمن
كل الايمان بانها اعمال نبوة معصومة .
فالرسول صلى الله عليه وسلم
يراقب المعركة من المدينة .. الآن
قتل زيد واخذ الراية جعفر ثم قتل
واخذها عبد الله بن رواحة ثم قتل
عبد الله واخذها سيف من سيوف
الله .

فاذا اردنا ان نفيد من السيرة
النبوية في معاركنا الحديثة والمقبلية